القديس أغناطيوس الشهيد ” حامل الإله ” ـ كورسات علم الآباء ـ السنة الأولي ـ المحاضرة الخامسة

http://patristiccairo.com/wp-content/themes/patristic2/images/postdateicon.pngنشر 16 نوفمبر, 2011 | http://patristiccairo.com/wp-content/themes/patristic2/images/postauthoricon.pngبواسطة [د. ميشيل بديع عبد الملك](http://patristiccairo.com/?author=14)

I حياته:

          ليس لدينا أدلة كافية عن تاريخ حياته ولكن يُعتقد أنه وُلد ما بين عامى 35،30م ويرى بعض المؤرخين أن أغناطيوس هو ذاك الطفل الذى حمله السيد المسيح وقدمه للتلاميذ كمثال للاتضاع (راجع مت2:18ـ4).

          رُسم أسقفًا على مدينة إنطاكية حيث يُعتبر ثانى أسقف لإنطاكية وخليفة ايفوديوس الأسقف الأول لها، وكان ذلك فى القرن الأول الميلادى، وعلى ما يُعتقد فى عام 70م . واختلفت الآراء فيمن قد سامه أسقفًا، حيث يرى البعض أن الرسول بولس قد سامه أسقفًا على الأمم المتنصرين. وبناء على استنادات حديثة يُعتبر أغناطيوس أنه تلميذ للرسول يوحنا الإنجيلى.

          وقد سمى نفسه فى رسائله السبعة التى كتبها أنه ” حامل الإله ” حيث عاش  حاملاً المسيح وسماته فى حياته.

          استُشهد هذا القديس فى مدينة رومية عام 107م فى أثناء الاضطهاد الذى حدث للمسيحيين  فى عهد الملك تراجان (98ـ117م) فى بداية القرن الثانى، حيث اقتيد من إنطاكية إلى رومية برفقة شرذمة من الجنود وصفهم القديس أغناطيوس فى رسالته إلى أهل رومية قائلاً: ” أنا أصارع الوحوش، ضد عشرة فهود كانت تقيدنى بقيودها، أى ضد جنود كانت ضراوتهم تزداد شراسة كلما ازدادت ملاطفتنا لهم. إن معاملتهم السيئة كانت مدرسة أتتلمذ بها .. ”

          وفى مدينة رومية قُدِمَ القديس أغناطيوس إلى أسود جائعة وثبت عليه ولم تُبق منه إلاّ القليل من العظام جمعها المؤمنون كذخائر وأرسلوها إلى كنيسته بإنطاكية.

          تعيد له الكنيسة القبطية فى 7 من شهر أبيب.

II كتاباته:

          كتب القديس أغناطيوس سبعة رسائل وهو فى طريقه من إنطاكية إلى رومية ليُقدَم للوحوش. فعندما وصل إلى أزمير اجتمع بأسقفها بوليكربوس وقابل ممثلين من بعض المناطق المسيحية وكذلك من أفسس ومغنيسيا وتراليون وقبل مغادرته أزمير كتب رسائل إلى هذه الكنائس الثلاثة بالإضافة إلى رسالة إلى أهل رومية يرجوهم ألاّ يقفوا فى طريق استشهاده. وعندما وصل إلى طروادة قادمًا من أزمير كتب ثلاثة رسائل أخرى إلى المسيحيين فى فلادلفيا وأزمير وإلى بوليكربوس أسقف أزمير.

          حُفظت هذه الرسائل فى طبعتين يونانيتين الواحدة مطولة والأخرى مختصرة. والرأى السائد هو أن الطبعة المختصرة هى الأقدم.           تكشف لنا هذه الرسائل عن شهادة واضحة للدرجات الكهنوتية الثلاث والتنظيم الكنسى وأهمية الرتبة الأسقفية.

III التعاليم اللاهوتية للقديس أغناطيوس:

          نستعرض بعض التعاليم اللاهوتية فى رسائل القديس أغناطيوس السبعة :

1 ـ الفكر الخريستولوجى : ” المسيح ” هو محور الفكر اللاهوتى فى رسائل القديس أغناطيوس فهو ” المعلم الأوحد ” الذى تتلمذ عليه الأنبياء بالروح

          وفى حثه للمؤمنين بالتمسك بالإيمان المستقيم وتجنب الهرطقات وأهمها بدعة ” الخياليين ” Docetists الذين أنكروا حقيقة التجسد والصلب مدعين أن جسد المسيح كان ” خياليًا “، يوضح القديس أغناطيوس أن المسيح هو [ الله صار إنسانًا، حياة حقيقية فى موت (إشارة إلى جسده)، من مريم ومن الله، ..] وهو [ بالحقيقة من نسل داود حسب الجسد وهو ابن الله حسب إرادة الآب وقوته، وقد وُلد حقًا من عذراء وعمده يوحنا حتى يتمم كل بر ]. وفى عبارته المشهورة التى تؤكد حقيقة التجسد وكل احداث الخلاص يقول: [ صموا آذانكم عندما تسمعون كلامًا لا يكون عن المسيح ابن داود المولود من مريم العذراء، عن المسيح الذى وُلِدَ حقًا وأكل وشرب واحتمل الآلام على عهد بيلاطس البنطى، ومات على الصليب أمام السماء والأرض وما تحت الأرض. وقام من بين الأموات، والذى أقامه هو الآب الذي يقيمنا نحن أيضًا الذين نؤمن به والذى بدونه لا نملك حياة حقيقية ].

2 ـ الكنيسة والرتب الكنسية ومكانة الأسقف :

في فكر القديس أغناطيوس الإنطاكي نجد أن المسيح يتحد ” بالكنيسة الجامعة ” : [ حيث يكون الأسقف هناك يجب أن تكون الرعية كما أنه حيث يكون المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة . بدون الأسقف لا يجوز العماد ولا ولائم المحبة. ما يوافق عليه الأسقف هو المقبول عند الله. وما يفعله يكون شرعيًا] (الرسالة إلى أزمير2:8). ويلاحظ أن تعبير ” الكنيسة الجامعة ” كان أول من نحته فى الفكر اللاهوتى هو القديس أغناطيوس الإنطاكي، ويشير فيه إلى ملئ الشعب القديم والجديد داخل وحدة الله. لذلك فإنه على ضوء هذا المفهوم نجد أن الكنيسة تكتسب مفهومًا أساسيًا فيما يختص بتفسير العهد القديم.

          القديس أغناطيوس الإنطاكى يعير أهمية خاصة عن المفهوم الخاص لعبادة الكنيسة وخاصة الإفخارستيا المقدسة، والتى ترتبط ارتباطًا وثيقًا ” برئاسة ” الأسقف للكنيسة. ونجد أن أغناطيوس أيضًا بالتوازى مع ” الأسقف ” يذكر أيضًا الكهنة والشمامسة: [ على الجميع أيضًا أن يحترموا الشمامسة كالمسيح يسوع والأسقف كصورة للآب والكهنة كمجلس الله ومصاف الرسل، بدون هؤلاء لا توجد كنيسة ] (الرسالة إلى تراليان1:3). فالقديس أغناطيوس يربط مكانة الأسقف فى الكنيسة مع الله، والكهنة ” بمكانة الرسل، والشمامسة ” بخدمة يسوع المسيح “: [فى الأشخاص الذين ذكرتهم فى رسالتى آنفًا أرانى الإيمان كل رعيتكم التى أحببتها وأنى لأرجو أن تفعلوا كل شئ تحت رئاسة أسقفكم كرمز لله والكهنة كرمز لمجمع الرسل والشمامسة الذين أحبهم كمؤتمنين على خدمة يسوع المسيح، الكائن قبل الأجيال بالقرب من الله والذى ظهر فى آخر الأجيال] (الرسالة إلى مغنيسيا1:6). فعمل هذه ” الرتب ” الثلاثة فى الكنيسة  يشكل ” مثال ” لعمل الله، ويسوع ، والرسل. فبالرئاسات فى الكنيسة يمتد عمل الله ويعمل فى التاريخ، وهذا العمل يتممه الرب يسوع. فعلاقة يسوع المسيح بالله الآب، وعلاقة الرسل بيسوع المسيح يُعبّر عنها فى علاقة الأسقف نحو الكنيسة . فكما أن يسوع هو ” فكر ” الآب، وفى وحدة مطلقة معه، هكذا يكون الأساقفة ” فكر ” يسوع المسيح، بينما الكهنة، فى وحدتهم مع الأسقف، يصورون ارتباط الرسل مع يسوع المسيح: [ وبما أن محبتى لكم لا تسمح لى بالبقاء صامتًا فإنى أسرع وأحرضكم بأن تسلكوا بحسب حكمة الله لأن يسوع المسيح مبدأ حياتنا هو نفسه فكر الله كما أن الأساقفة المعينين فى أطراف الأرض هم فكر واحد بيسوع المسيح] (الرسالة إلى أفسس2:3)؛ [ كما أن السيد لم يعمل شيئًا بذاته أو بواسطة رسله بدون الآب المتحد به كذلك أنتم لا يجب أن تفعلوا شيئًا بدون الأسقف والكهنة ولا تحاولوا أن تفاخروا بما تقومون به مستقلين إذ لا شئ حسن إلاّ إذا كان صادرًا عنكم مجتمعين. صلاة واحدة، وطلبة واحدة، روح واحد ورجاء واحد بالمحبة وفرح نقى واحد. كل هذا هو يسوع المسيح وهو فوق الجميع. تسارعوا إلى هيكل الله الواحد، إلى المذبح الأوحد، إلى يسوع المسيح الذى خرج من الآب الواحد وبقى متحدًا به والذى إليه يعود] (الرسالة إلى مغنيسيا1:7)؛ وفى مقدمة الرسالة إلى فيلادلفيا يقول الآتى: [ ... إنها فرحى الأزلى الباقى خصوصًا إذا ظل مؤمنوها (أى كنيسة فلادليفيا) متحدين بالأسقف والكهنة والشمامسة معًا وثابتين فى روح المسيح يسوع الذى شددهم حسب إرادته وثبتهم بروحه القدوس].

          لكى يعرف المؤمن ” فكر ” الله، يجب أن يُوجد فى وحدة مع الأسقف ويدخل فى ” فكره “. كذلك ” الثبات ” فى ” عقائد الرب والرسل “، وفى الكلمة المحيية للإنجيل، يكون ذلك ممكنًا فى الوحدة مع رئاسات الكنيسة (راجع الرسالة إلى مغنيسيا1:13)، لأن هؤلاء عندهم الروح القدس. أيضًا الإنجيل هو “كمال عدم الفناء”، فبنفس الطريقة فإن الوحدة مع الأسقف والرئاسات هى    “رمزًا وأمثولة للخلود” (الرسالة إلى مغنيسيا2:6). إن الدعوة المُلحة لأغناطيوس نحو المؤمنين توجد فى وحدتهم غير المنفصلة مع أسقفهم ويكوّنون إفخارستيا تحت رئاسته: [ إذ كان البعض قد حاولوا أن يخدعونى حسب الجسد فإنهم لن يخدعوا الروح الآتى من الله " لأنه يعرف من أين يأتى وإلى أين يذهب " (يو8:3) ويعرف أن يكشف الخبايا. صرخت ، وأنا بينكم، وناديت بأعلى صوتى، بصوت الله، ارتبطوا بالأسقف وبالكهنة والشمامسة] (الرسالة إلى فلادليفيا1:7). فدائمًا كل ما يتعلق بالكنيسة من إفخارستيا، والعماد، والوعظ، والتعليم، والإنجيل… الخ يتشكلون فى وحدة مطلقة مع الأسقف ومن خلاله مع الله ويسوع المسيح ومجمع الرسل الأطهار. وهذه الوحدة هى وحدة روحية: [ اتبعوا جميعكم الأسقف كاتباع يسوع للآب والمتقدمين كاتباعكم للرسل أما الشمامسة فاحترموهم كناموس الرب. لا يفعلن أحد منكم شيئًا يتعلق بالكنيسة بدون إرادة الأسقف. سر الشكر هو السر الذى يتممه الأسقف أو كل من أوكل إليه ذلك. حيث يكون الأسقف هناك يجب أن تكون الرعية كما أنه حيث يكون المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة. بدون الأسقف لا يجوز العماد ولا ولائم المحبة. ما يوافق عليه الأسقف هو المقبول عند الله. وكل ما يفعله يكون شرعيًا] (الرسالة إلى أزمير1:8)؛ [ إذا كنت قد ارتبطت مع أسقفكم بمدة وجيزة برابطة وثيقة روحية لا علاقة بشرية فيها. فكم بالحرى أغبطكم أنتم وقد ارتبطتم به ارتباطًا دائمًا كارتباط الكنيسة بالمسيح، والمسيح يسوع بالآب، وكل ذلك بائتلاف وحدة كاملة] (الرسالة إلى أفسس1:5)؛ [ فإذ أقول ، إن طاعتهم لا توجه إليه بل إلى الله الأسقف الجامعى إلى آب يسوع المسيح. يجب أن تكون طاعتنا خالية من كل شائبة لأن احترامنا هو لله الذى أحبنا. فإذا خدعنا الأسقف فإننا نكذب على الأسقف غير المنظور وفى هذه الحالة ليس عملنا مع الجسد بل مع الله الذى يعرف كل الأشياء الخفية] (الرسالة إلى مغنيسيا2:3).

          من هنا نجد بحسب مفهوم القديس أغناطيوس الإنطاكى، أن موضوع معرفة ” فكر ” الله، وإنجيل ربنا يسوع المسيح، وكذلك ” عقائد ” الرسل، يرتبط مع مفهوم ” قيادة ” أو ” رئاسة ” الأسقف، والكهنة والشمامسة. هذه القيادة ليس لها فقط صفة قانونية ولكن أيضًا ” خاريسمية ” (مواهبية)، مع ملاحظة أن القديس أغناطيوس الإنطاكى لا يفصل هاتين الصفتين عن بعضهما. أما بالنسبة للوحدة مع الله والتي تشترط معرفة ” فكره ” وكذلك إنجيله الحى، فهى تنجح مع الوحدة في جسم الكنيسة.

3 ـ مكانة العهد القديم في حياة الكنيسة

          يعتبر القديس اغناطيوس الانطاكى أنه أول أب كنسى أشار إلى أهمية ومكانة العهد القديم في حياة الكنيسة. فقد نشط في عصره بعض الجماعات الهرطوقية في مقاطعات كثيرة بأسيا الصغرى، وكانت هذه الجماعات تمثل كل من الاتجاهات الغنوسية واليهودية. فالغنوسيون يرفضون الأخذ بكتاب العهد القديم ويحقرون أهمية استخدامه بالنسبة للإنجيل الجديد، أى العهد الجديد؛ بينما الآخرون وهم الجماعات ذات الاتجاهات اليهودية يضعون للعهد القديم في مكانة عالية، ويوجهون الحياة الجديدة للكنيسة على أساس العهد القديم فقط.

لذلك نجد أن القديس اغناطيوس الانطاكى قد واجه هذه الجماعات الهرطوقية على أساس إيضاح مفهوم العهد القديم وأهميته بالاضافة إلى الاعلان عن حقيقة الرب الحى، والرسل، وبشهادة الإنجيل ” وفقًا لتعليم المسيح ” ( kat¦ cristomal…an ) : [ أضرع إليكم أن تبتعدوا عن كل روح يعمل للشقاقات وأن تفعلوا وفقًا لتعليم المسيح. سمعت مَن يقول " إذا لم أجد ذلك عند الأقدمين لا أؤمن بالإنجيل " وعندما أقول لهم إن ذلك " مكتوب " يجيبوننى " هذا هو الموضوع ". النصوص بالنسبة لى هى يسوع المسيح، النصوص هى صليبه وموته وقيامته والإيمان الذي هو من عنده ] (الرسالة إلى فيلادلفيا 2:8). فالرب هو المعلم الوحيد للإيمان: [ أولئك الذين عاشوا وفقًا للنظام القديم واحتضنوا الرجاء الجديد لا يحفظون السبت بل الأحد الذي أشرقت فيه شمس حياتنا بواسطة المخلص وموته. هذا السر الذي ينكره الكثيرون هو نبع إيماننا وصبرنا وهكذا نصير تلامذة ليسوع المسيح معلمنا الوحيد. كيف يمكننا أن نحيا بدونه. إن الأنبياء كتلاميذ بالروح كانوا ينتظرونه كمعلم، لذلك أقامهم عند مجيئه لأنه كان موضوع رجائهم (راجع مت52:27) ] (الرسالة إلى مغنيسيا 1:9)، كما أن الرب يسوع هو فم الله غير الكاذب: [ … إن يسوع المسيح سيريكم أنى أقول الحق. إنه الفم الذي لا يعرف الكذب والذي تكلم به الآب حقًا ] (الرسالة إلى رومية 2:8)؛ والرب يسوع يوجد حيًا بين المؤمنين وينادى لهم بالحق: [ … إن أونيسيموس امتدح انتظامكم في الله. امتدحكم لأنكم تعيشون في الحق بعيدين عن كل هرطقة وإنكم لا تسمعون لأحد قط إلاّ ليسوع الناطق بالحق ] (الرسالة إلى أفسس 2:6).

لقد استخدم القديس اغناطيوس العهد القديم ليس فقط كنص مكتوب، ولكن بالأكثر كتاريخ سابق لتجسد المسيح وللكنيسة؛ لذلك فإن أهمية العهد القديم تعود إلى أنه يتوقف على الإنجيل (العهد الجديد) بالقطع. فناموس موسى وكذلك كتب الأنبياء ليس لهم أهمية في ذواتهم ولكن بالكرازة وبالرجاء وبالإنجيل: [ لنحب الأنبياء أيضًا لأنهم هم أيضًا بشروا بالإنجيل ووضعوا كل رجائهم بيسوع وانتظروه. باعتقاد هؤلاء بالمسيح خلصوا وبقوا في وحدته قديسين جديرين بالمحبة والاعجاب وحازوا على شهادة الرب يسوع واحصوا في إنجيل رجائنا المشترك ] (الرسالة إلى فيلادلفيا 2:5). إن أنبياء العهد القديم لا يكونون ببساطة مبشرين بالأمور الآتية، ولكن بالشكل الحى للإنجيل وذلك بإلهام الروح و ” عاشوا حسب المسيح ” (الرسالة إلى مغنيسيا 2:8)، وآمنوا به (أى بالمسيح)، وخلصوا بالاستحقاق الجديد للإنجيل: [ لنحب الأنبياء أيضًا لأنهم هم أيضًا بشروا بالإنجيل ووضعوا كل رجائهم بيسوع وانتظروه. باعتقاد هؤلاء بالمسيح خلصوا وبقوا في وحدته قديسين جديرين بالمحبة والاعجاب ] (الرسالة إلى فيلادلفيا 2:5). إن الرب كان حاضرًا بروحه في الأنبياء، وألههم بنعمته بالارادة الإلهية، وكان بنفسه المعلم الذي انتظروه: [ إن الأنبياء كتلاميذ بالروح كانوا ينتظرونه كمعلم، لذلك أقامهم عند مجيئه لأنه كان موضوع رجائهم ] (الرسالة إلى مغنيسيا 3:9). شخص المسيح الذي هو محتوى الإنجيل، يربط عضويًا وجوهريًا كل من العهد القديم والجديد معًا. وهذا الرباط لوحدة الله بكنيسة مختارى العهد القديم والرسل والكنيسة الجديدة، هو رباط غير منحل: [ مكرمون متقدموا الكهنة ولكن رئيس الكهنة أسمى كرامة لأنه مؤتمن على قدس الأقداس وهو المؤتمن الوحيد أيضًا على أسرار الله، إنه باب الرب الذي دخل منه ابراهيم واسحق ويعقوب والأنبياء والرسل والكنيسة. كل هذه الأمور تقود إلى الوحدة مع الله ] (الرسالة إلى فيلادلفيا 1:9). وحدة كل من العهد القديم بالجديد وأيضًا علاقة العهدين معًا لا تتحدد على أساس شهادة كتاباتهم، ولكن على أساس وحدة الإنجيل الحى، الذي فيه بشر الأنبياء بحياتهم كرجاء، كما أن الرب والرسل حققوه (أى الإنجيل الحى) ” كعقيدة “: [ حاولوا أن تثبتوا في عقائد الرب والرسل حتى " تنجحوا في أفعالكم " (مز1، 3)، في الجسد والروح في الإيمان والمحبة في الآب والابن والروح القدس، في البداية والنهاية … ] (الرسالة إلى مغنييا 1:13).

          إن ” إنجيل الرجاء المشترك ” هو فعل الأحداث الذي يشكله ” ظهور ” الرب وموته وقيامته: [ بيد أن في الإنجيل شيئًا فريدًا. فيه مجىء المخلص ربنا يسوع المسيح وآلامه وقيامته. الأنبياء المحبوبون قد أعلنوا عنه أما الإنجيل فهو خلاصته الأزلية ] (فيلادلفيا 2:9).

          القديس اغناطيوس الانطاكى في مواجهته لهرطقات الجماعات الغنوسية يؤكد على الأحداث المهمة في الإنجيل وهى: أن يسوع المسيح جاء من نسل داود بحسب الجسد، وكذلك حدث الميلاد من مريم العذراء، وتكلم عن كمال إنسانية المسيح، والألم، والصليب، والموت، والقيامة: [ صموا آذانكم عندما تسمعون كلامًا لا يكون عن المسيح ابن داود المولود من مريم العذراء، عن المسيح الذي وُلد حقًا وأكل وشرب واحتمل الآلام على عهد بيلاطس البنطى ومات على الصليب أما السماء والأرض وما تحت الأرض. وقام من بين الأموات والذي أقامه هو الآب الذي يقيمنا نحن الذين نؤمن به بفضيلة ابنه والذي بدونه لا نملك حياة حقيقية ] (الرسالة إلى أهل تراليان 1:9ـ2). لذلك يجب على المسيحيين، بخلاف التعاليم الأخرى، أن ” يحيوا ” فقط في أحداث الإنجيل: [ لا أخاطبكم، أيها الأعزاء، لأنى أعتقد أنكم هكذا. إنى أخاطبكم كأصغركم محذرًا من فخاخ العقائد الباطلة. إنى أخاطبكم لأطلعكم على ولادة المخلص وآلامه وقيامته في عهد بيلاطس البنطى. إن هذه الأمور قد جرت حقيقة وبكل تأكيد والمسيح رجاؤنا هو الذي حققها وحاشا أن تحيدوا عنها ] (الرسالة إلى مغنيسيا 11). كما أن المسيحيين عندهم الأنبياء الذين يجب أن يحبونهم كقديسين ومشاركين في نفس الإنجيل: [ لنحب الأنبياء أيضًا لأنهم هم أيضًا بشروا بالإنجيل ووضعوا كل رجائهم بيسوع وانتظروه ] (الرسالة إلى فيلادلفيا 2:5)؛ ويجب على المسيحيين أن يحفظوا أقوال الأنبياء: [ تعلقوا بالأنبياء وعلى الأخص بالإنجيل الذي أرانا الآلام كاملة والقيامة محققة ] (الرسالة إلى أزمير 2:7)؛ فالمسيحيين لهم الرب ذاته الذي ينادى من خلال كثير من المسيحيين في الكنيسة وهو ذاته حاضر فيها: [ … إنكم تعيشون في الحق بعيدين عن كل هرطقة، وانكم لا تسمعون لأحد قط إلاّ ليسوع المسيح الناطق بالحق ] (الرسالة إلى أفسس 2:6)؛ كما إنهم (أى المسيحيين) عندهم الرسل: [ حاولوا أن تثبتوا في عقائد الرب والرسل حتى " تنجحوا في أفعالكم " ] (الرسالة إلى مغنيسا 1:13)، بالاضافة إلى أنه يجب على المسيحيين أن يتحدوا مع الأساقفة والكهنة والشمامسة ليكونوا في فكر واحد بيسوع المسيح: [ وبما أن محبتى لكم لا تسمح لى بالبقاء صامتًا فإنى أسرع وأحرضكم بأن تسلكوا بحسب حكمة الله لأن يسوع المسيح مبدأ حياتنا هو نفسه فكر الله كما أن الأساقفة المعينين في أطراف الأرض هم فكر واحد بيسوع المسيح ] (الرسالة إلى أفسس 2:3)؛ [ رتبوا سلوككم وفقًا لإرادة الله وليحترم كل منكم الآخر ولا تنظروا إلى قريبكم بعين الحسد، بل بعين محبة المسيح الراسخة فليعامل بعضكم بعضًا. لا تدعوا شيئًا ينسل إلى داخلكم ليفرقكم. بل اتحدوا مع أسقفكم ورؤسائكم وليكن اتحادكم رمزًا وأمثولة للخلود (راجع تى7:2) ] (الرسالة إلى مغنيسيا 2:6).

          لقد حارب القديس اغناطيوس أيضًا الجماعات الهرطوقية اليهودية الذين يعارضون في الكنيسة أن يُفسر العهد القديم بالمفهوم المسيحى، بالاضافة إلى أنهم يريدون أن يسرى التقليد اليهودى بحسب الناموس في حياة الكنيسة. وقد ناقش القديس اغناطيوس هذه الأمور مع المسيحيين ” المتهودين ” (أى الذين يتمسكون بتعاليم الناموس في عبادتهم المسيحية) من فيلادلفيا، حيث ذكر الآتى: [ لقد فعلت ذلك كإنسان مهيأ للوحدة. لا يقطن الله حيث يكون الغضب والشقاق. الله يغفر لكل التائبين بشرط أن تقودهم توبتهم إلى الله وإلى مجلس الأسقف. أ}من بنعمة يسوع المسيح الذي يحلّكم جميعًا من كل قيد. أضرع إليكم أن تبتعدوا عن كل روح يعمل للشقاقات وأن تفعلوا وفقًا لتعليم الله. سمعت مَن يقول " إذا لم أجد ذلك عند الأقدمين لا أؤمن بالإنجيل " وعندما أقول لهم أن ذلك " مكتوب " يجيبوننى " هذا هو الموضوع ". النصوص بالنسبة لى هو يسوع المسيح، النصوص هى صليبه وموته وقيامته والإيمان الذي من عنده. بهذه أريد أن أتبرر بصلواتكم ] (الرسالة إلى فيلادلفيا 8).

          يلاحظ في الفقرة السابقة أنه عندما يُبشر عن يسوع من كتب العهد القديم، فإن المتحدثين والمعارضين لقديس اغناطيوس يقولون له: ” إذا لم يوجد في القديم ذلك فلا نؤمن بالإنجيل “. فكانت اجابة القديس اغناطيوس لهم أنه حقيقة ” مكتوب ” ذلك ثم يسترسل في بعض فقرات من العهد القديم، التي ربطتها الكنيسة بحسب التقليد بشخص المسيح، ثم ذكر عن الصليب والموت والقيامة. فالهراطقة من المسيحيين المتهودين عارضوا بالتحديد التفسير القائم على أن المسيح هو مركز التفسير ولم يريدوا أن يقبلوا هذا النوع من التفسير، لأنهم ذاتهم يفسرون الكتاب حرفيًا. ولا يبدوا أن القديس اغناطيوس في اجابته لهم أنه يعلمهم، لذلك أتى في حديثهم معهم إلى الموضوع الرئيسى. فالتسجيلات الحقيقية للإنجيل لا تكون إلى حد ما عبارة عن كتابة العهد القديم (بما أنه يوجد معرضة بالنسبة لتفسيره)، ولكن العمل التاريخى غير المُعارَضْ للسيد المسيح، وخاصةً الصليب، والموت والقيامة، والإيمان بالمسيح. لذلك على أساس هذه ” التسجيلات ” يستطيع أحد أن يتفهم إنجيل الناموس والأنبياء.

          هذا الرد من جانب القديس اغناطيوس لم يقلل على الاطلاق من حقيقة العهد القديم، وأيضًا لا يجعله يختلف عن الإنجيل. ولكن يقبل وحدة تاريخ الشعب القديم والجديد، والتي تحققت في المسيح يسوع.

          إن مفهوم العهد القديم على أساس أن المسيح هو مركز التفسير، لا يسمح بالعودة للتقليد اليهودى وكذلك طريقة الحياة اليهودية. فموضوع العلاقة الصحيحة لليهودية والمسيحية، خلقت مشاكل كثيرة في مجتمعات كل من مغنيسيا وفيلادلفيا. لذلك نجد أن القديس اغناطيوس يرفض بشدة شكلية العبادة، وكذلك التفسير الناموسى الخاطئ للناموس. فاليهودية تحرم من النعمة الجديدة، ولا تتمشى مع بشارة يسوع المسيح: [ لا تخدعنكم التعاليم الغريبة ولا تلك الأساطير القديمة التي لا فائدة منها. إذا كنا نحيا حتى الآن حسب الناموس اليهودى فإننا نعترف ونُقّر بأننا لم نأخذ النعمة بعد (أنظر 1تى4:1 ، تيطس14:1) ] (الرسالة إلى مغنيسيا 1:8)؛ [ من الخطأ أن تتلفظ باسم المسيح وأنت تعيش كما يعيش اليهود. ليست المسيحية هى التي آمنت باليهودية بل اليهودية آمنت بالمسيحية التي تجمع كل الشعوب التي تؤمن بالله ] (الرسالة إلى مغنيسيا 3:10). واليهودية ليس لها أى علاقة مع المسيحية: [ إذا فسَّر لكم أحد الكتاب وفقًا لليهودية فلا تسمعوا له لأنه من الألإضل أن تسمعوا المسيحية من إنسان مختون من أن تسمعوا اليهودية من إنسان غير مختون. إذا كان الاثنان لا يخاطبانكم عن المسيح يسوع فكلاهما أعمدة وقبور للأموات ] (الرسالة إلى فيلادلفيا 1:6)؛ [ فلنطرح الخميرة الفاسدة العتيقة ولنتحول إلى خميرة جديدة التي هى يسوع المسيح. ليكن هو ملح حياتكم لئلا تفسدوا لأنكم من روائحكم تعرفون ] (الرسالة إلى مغنيسيا 2:10). فمجتمع الإنجيل يمنع العودة إلى التقليد اليهودى القديم سواء في حفظ السبت أو الختان: [ أولئك الذين عاشوا وفقًا للنظام القديم واحتضنوا الرجاء الجديد لا يحفظون السبت بل الأحد الذي أشرقت فيه شمس حياتنا بواسطة المخلص وموته ] (الرسالة إلى مغنيسيا 1:9)[1]؛ فالمسيحية لا تستطيع على الاطلاق أن تقود إلى اليهودية، ولكن ” اليهودية إلى المسيحية ” (الرسالة إلى مغنيسيا 3:10). فالمسيحيون يتركون جانبًا ” الأشياء القديمة ” ويحيون ” بحسب الأحد “، ذلك اليوم الذي يحتفلون فيه بسر موت السيد المسيح وقيامته. فالقديس اغناطيوس في مواجهته لهؤلاء الهراطقة من المسيحيين المتهودين، يبرز أيضًا التفسير على أساس المسيح هو مركز التفسير للعهد القديم: [ إن الأنبياء كتلاميذ بالروح كانوا ينتظرونه (أى المسيح) كمعلم، لذلك أقامهم عند مجيئه لأنه كان موضوع رجائهم ] (الرسالة إلى مغنيسيا 3:9)؛ ويستند إلى أن الأنبياء الذين انتظروا المسيح كمعلم، خلصوا وقاموا بظهوره وقيامته: [ هذا السر الذي ينكره الكثيرون هو نبع إيماننا وصبرنا وهكذا نصير تلامذة ليسوع المسيح معلمنا الوحيد. كيف يمكننا أن نحيا بدونه ] (الرسالة إلى مغنيسيا 2:9).

          على مثال ما وجدنا في رسالة اغناطيوس الانطاكى في مواجهته للمسيحيين المتهودين، وتعاليمه للتخلى عن عوائد الناموس، نجد ذلك أيضًا في العصر الرسولى داخل ” الرسالة إلى ديوجنيتس “، فكاتب الرسالة يمقت الذبائح اليهودية ويعتبر أنها عبادة أوثان ونوع من الخرافات (5:3)، كما أن التقاليد اليهودية الناموسية والعبادات اليهودية تعتبر أنها من الأمور ” المضحكة ” وبدون كلام يستحق ” (1:4). والرسالة لا ترفض العهد القديم، بل تؤكد أنه في اجتماعات الصلاة الليتورجية في الكنيسة فإن كتب الأنبياء تُقرأ على ضوء الإيمان بالإنجيل وتقليد الرسل وتعاليم الكنيسة (6:11).

4 ـ الاستشهاد

الاستشهاد هو شرط التلمذة الحقيقية للرب يسوع. ويربط القديس أغناطيوس الاستشهاد بسر الإفخارستيا حيث هما وسائل سرية للاتحاد بالمسيح الذبيحة الحقيقية: [ أطلب فقط أن تتركونى لأقدم دمى ضحية على مذبح الرب ما دام المذبح معدًا، وأن ترتلوا، وقد جمعتكم جوقة المحبة، ترتيلة للآب بيسوع المسيح لأن الله ارتضى أن يأتى أسقف سوريا من الشرق إلى الغرب. جميل أن نغيب عن العالم باتجاه الله لنشرق فيه ] (رو2)؛ [ اتركونى فريسة للوحوش. إنها هى توصلنى سريعًا إلى الله. أنا قمح أُطحن تحت أنياب الوحوش لأخبز خبزًا نقيًا للمسيح... اضرعوا إلى المسيح حتى يجعل من الوحوش واسطة لأكون قربانًا لله ] (رومية4).

[1] راجع ما سبق ذكره في السطور السابقة للرسالة إلى فيلادلفيا 1:6.

.........................................................................................................................

القديس إغناطيوس حامل الإله (1) ـ كورسات علم الآباء ـ السنة الأولي ـ المحاضرة الرابعة

http://patristiccairo.com/wp-content/themes/patristic2/images/postdateicon.pngنشر 1 نوفمبر, 2011 | http://patristiccairo.com/wp-content/themes/patristic2/images/postauthoricon.pngبواسطة [د. جورج عوض أبراهيم](http://patristiccairo.com/?author=6)

حياته: إن رسائل إغناطيوس هي بمثابة المصادر الوحيدة لمعرفة سيرة حياته. ولأن هذه النصوص ليست تاريخية وسيرة ذاتية له فإننا نعرف القليل عن كتابتها من يوسابيوس المؤرخ. كان إغناطيوس ثاني أسقف على أنطاكية. بدأت أسقفيته من سنة 70م. معرفته بالرسل هي مؤكدة. المناخ الذي وُلِدَ فيه وترعرع هو يوناني، كما تشهد بذلك فصاحة لغته في رسائله. نصوص إغناطيوس لا تبين فقط مدى تربيته الحسنة بل وموهبته القيمة في الكتابة والشعر. في أنطاكية، كانت في وقت ذاك بلد ليس لها أهمية كبيرة تقع على الحدود بين تركيا وسوريا وتخضع الآن لتركيا، وتعَرف إغناطيوس على تيارات عصره الثقافية والدينية. في أي سنة صار أسقفًا؟ لا نعرف. لكن بالتأكيد سيادته الروحية وتأثيره تخطى حدود أنطاكية وإمتد إلى كل سوريا.

وهذا يبدو من الثقة العظيمة والإحترام المتناهي الذي أظهره في آسيا الصغرى وروما تجاهه. نحن إذن أمام أسقف له مصداقية مسكونية. قُبض على إغناطيوس أثناء الإضطهاد في عصر الإمبراطور تراجان (107ـ117م)، أُقتيد إغناطيوس إلى روما بصُحبة جنود قد وصفهم في رسالته إلى رومية، قائلاً: { من سوريا حتى رومية، في البر والبحر، في الليل والنهار، وأنا أصارع الوحوش، ضد عشرة فهود كانت تقيدني بقيودها، أي ضد جنود كانت ضراوتهم تزداد شراسة كلما أزدادت ملاطفتنا لهم. إن معاملتهم السيئة كانت مدرسة أتتلمذ عليها “لست لهذا أتبرر” 1كو4:4} إلى رومية1:5. ويعلن إغناطيوس أنه غير خائف من الإستشهاد صارخًا: ” لا شيء يمنعني عن المسيح” ويترجى المؤمنين بأن يتركوه وشأنه، قائلاً: ” أرجوكم أن تتركوني وشأني أني أعرف ما يوافقني، لقد إبتدأت أن أكون تلميذًا للمسيح. لا يحاولن أحد من المنظورين أو غير المنظورين أن يمنعني من الحظوة بالمسيح. لا شيء يمنعني. فلتسقط النار، ولتعملوا فيَّ تمزيقًا وليقطعوني قطعًا وليشتتوا عظامي ويبتروا أعضائي وليطعنوا جسدي ولتزحف قطعان الوحوش وعذابات الشيطان الشريرة” (رومية 3:5). يؤكد إغناطيوس على رغبته الشديدة للإستشهاد (استشهد في روما في 21ديسمبر سنة107م). لكي يقدم جسده قربانًا لله: ” إتركوني فريسة للوحوش. إنها هي التي توصلني سريعًا إلى الله. أنا قمح الله أُطحن تحت أضراس الوحوش لأخبز خبزًا نقيًا للمسيح. أغروا الوحوش لتصير قبرًا لي فلا تترك شيئًا من جسدي. حتى إذا مُت لا أكون ثقلاً على أحد إذ ذاك أصبح تلميذًا ليسوع المسيح أي عندما يختفي جسدي ولا يراه العالم. أضرعوا إلى المسيح حتى يجعل من الوحوش واسطة لأكون قربانًا لله” (إلى رومية 1:4ـ2). مساهمته التعليمية: القديس إغناطيوس حامل الإله هو أول أب ومعلم للكنيسة، وكذلك هو أيضًا أول لاهوتي عظيم بعد الرُسل. حقيقة ويقينية أقواله المباشرة يعطون إنطباعًا بأنه حقًا رجل رسولي. مضت الكنيسة ـ بإغناطيوس ـ إلى تأسيس التعليم اللاهوتي لمسيرتها وواجهت مشاكلها بطريقة تعليمية لاهوتية. لقد دشَّن النظام التعليمي الذي سوف يسري على كل مسيرة الكنيسة: المشاكل الحياتية تُحَّل بمحاولة تعليمية لإظهار الحق الذي يتعلق بهذه المشاكل. الكنيسة في شخص إغناطيوس تتخطى مرحلة الكلام عن الأخلاق والفضيلة الذي أُثير في الإطار اليهودي واليوناني. لقد برَّهن على أن المسيحي اللاهوتي يمكن أن يستخدم لغة المناخ الفكري المعاصر (اليهودية ـ الغنوسية ـ اليونانية) بدون أن يتأثر به جوهريًا. التعليم اللاهوتي للكنيسة هو طريق خاص بشروط (بأساسيات) وتطلعات، يجب أن يفتش عنها المرء في مجال الحق الكنسي. هكذا في شخص إغناطيوس ـ إنتصرت الكنيسة على مناخ اليهودية ومضت في إنشاء تعليم لاهوتي، تعليم لا يُوصف بأنه تعليم نظامي أو مدرسي في تحليل المفاهيم والمواضيع. تعليم القديس إغناطيوس هو تعليم أصيل، وصار هذا التعليم بمثابة تقليد للكنيسة، لأنه تعليم رعائي يمثل تعبير وإمتداد للتقليد الرسولي، ونشأ هذا التعليم بإرشاد الروح القدس، كما يؤكد هو نفسه. هذا التعليم يتميز بثلاث محاور: 1ـ الأول عن الأسقف القائم بالخدمة الليتورجية. 2ـ الثاني عن وحدة الكنيسة. 3ـ الثالث عن الإفخارستيا. 1ـ تعليمه عن الأسقف القائم بالخدمة الليتورجية: كثير من المؤمنين في عصره إعتبروا إنه ليس ضروريًا الإشتراك في الإفخارستيا التي يتممها أسقف كنيستهم المحلية. أي أن المؤمنين تشككوا وترددوا في قبول فرادة وسيادة الأسقف في مكانه، لذا قد شرّعوا في تكوين مجموعات منفصلة يتم فيها تتميم الإفخارستيا. هكذا الأسقف وعمله الليتورجي في الكنيسة صار رتبة ظاهرية بدون أساس لاهوتي وخصوصية فريدة (كانت هذه المشكلة كبيرة منذ زمن كليمنضس أسقف روما). واجه إغناطيوس جذريًا ولاهوتيًا المشكلة رابطًا مصداقية الإفخارستية وأصالتها بالأسقف الذي هو “صورة الآب”: ” من الضروري أن تتجنبوا كل عمل لا يتفق مع إرادة الأسقف وهذا ما تصنعون، وأن تخضعوا للكهنة كخضوعكم لرسل المسيح رجائنا الذي نقاسمه الحياة الخالدة… علينا أن نُرض الشمامسة الذين هم خدام يسوع المسيح أيضًا” . وأيضًا يشرح بأكثر وضوحًا نفس الفكرة بأكثر عمقًا لاهوتيًا: ” على الجميع أيضًا أن يحترموا الشمامسة كالمسيح يسوع والأسقف كصورة للآب والكهنة كمجلس الله ومصف الرسل. بدون هؤلاء لا توجد كنيسة” . هكذا الأسقف وهو نائبُ عن الله، لأنه “صورة الآب”، إنه إمتداد لعمل الرب والرُسل. 2ـ تعليم عن وحدة الكنيسة: الأسقف صار علامة محسوسة وحقيقية لوحدة الكنيسة. الإرتباط بالأسقف هو شرط وحدة الإنسان بالله وفي نفس الوقت برهان لهذه الوحدة، أي برهان أن الإنسان هذا ينتمي إلى الكنيسة. إن لم يكن لدينا وحدة المؤمنين بالأسقف، لا يكن لدينا أيضًا “جامعية الكنيسة”: ” حيث يكون الأسقف هناك يجب أن تكون الرعية كما أنه حيث يكون المسيح هناك تكون الكنيسة الجامعة” (إلى أزمير: 8). إغناطيوس هو أول كاتب كنسي يستخدم مصطلح “الكنيسة الجامعة” وكذلك مصطلح “إنجيل” (إلى أزمير2:7) و “المسيحية” “Καθολικὴ Εκκλησία ” ، “Εύαγγέλιον” ، “Χριστιανισμός “. 3ـ تعليمه عن الإفخارستيا: واجه إغناطيوس في تعليمه عن الإفخارستيا الأفكار الخاصة بهرطقة الخياليين الذين كانوا يزعمون بأن المسيح تألم ظاهريًا فقط. إن حقيقة آلام المسيح وقيامته هي شرط للحضور الحقيقي في الإفخارستيا. والتي يشدد إغناطيوس على الإتحاد الحقيقي للمؤمن بالمسيح في الإفخارستيا. ونظرًا لأن كتاباته كلها يغلب عليها التأكيد على حقيقة الإفخارستيا كإتحاد بين المؤمنين والمسيح جعل بعض الدارسين يتحدثون عن ما يُسمى بسرائرية إغناطيوس. لكن ليس لديه سرائرية لها مراحل ودرجات غير معروفة. لكن لديه حماس غير منقطع النظير وشوق ملتهب للإتحاد بالمسيح والذي وصَّل إلى ذروته في إستشهاده وهو سائر كما يشتاق الإيل إلى لجداول المياه. إن محبته تجاه الرب وإتحاده الحقيقي به أشعلوه وصيَّروه متجليًا حاملاً للإله. تعليم يوحنا وبولس يتقابلان في روح إغناطيوس، الذي يمضي في تعليمه عن الإتحاد بالرب وتعليمه عن الشهادة. أول أب ومعلم للكنيسة يعتمد في تعليمه على إستنارة وقيادة الله. إجابة إغناطيوس على المشاكل التي تخص الحق الإلهي هي نتيجة الإستنارة. يعبر “برأيه” على مواضيع حياتيه وخلاصية فقط “خصوصًا إذا كان الرب يكشف لي ذلك” (أفسس 1:20). يؤكد لأهل فيلادلفيا أن كل ما يقوله عن وحدتهم بالأسقف يظهره له الروح: ” إذا كان البعض يشكون لأني أرى مسبقًا شقاقات البعض فأني أشهد لله أن اللحم لم يكشف لي ذلك. أن الروح يقول لا تفعلوا شيئًا بدون الأسقف وإحتفظوا بأجسادكم كهياكل، وأحبوا الوحدة، وتجنبوا الشقاقات، وأقتدوا بيسوع المسيح كاقتدائه بالله” (إلى فيلادلفيا2:7). إذن أساس التعليم اللاهوتي للقديس إغناطيوس ليس هو إنشغاله بمشاكل المؤمنين الحياتيه بل بإستنارة الروح القدس. إن مساهمة إغناطيوس التعليمية تمثل خطوة هامة وجرئية في مسيرة حياة الكنيسة. لدينا عند إغناطيوس نظام واضح للترتيب الكنسي: الأسقف والكاهن والشماس. الكتاب المقدس هو المصدر الأساسي لأعمال الكُتَّاب الكنسيين. والخريستولوجية هي واضحة عند القديس إغناطيوس كما تشهد سطوره على ذلك. إلى رومية 5:7 ” أريد خبز الله الذي هو جسد المسيح من نسل داود، أي أريد شرابي دمه الذي هو المحبة غير الفاسدة”. إلى بوليكاربوس 2:3 ” ترجى من هو فوق الزمان، ترجى من لا زمان له، غير المنظور، الذي صار منظورًا لأجلنا، الذي لا يُلاَمس والذي لا يتألم وتألم من أجلنا وأحتمل كل شيء”. إلى أفسس2:7 ” لا يوجد غير طبيب واحد، طبيب جسدي وروحي، مولود وغير مولود، إله متجسد وفي الموت حياة حقيقية، وُلِدَ من العذراء ومن الله، قابلاً للآلام قبلاً وغير متألم الآن، يسوع المسيح ربنا”. كتاباته: وفي طريقة إلى روما لينال الاستشهاد كتب سبع رسائل: خمسة رسائل إلى الجماعات المسيحية في أفسس ومغنيسيا وترال وفيلادلفيا وسميرنا، وهي المدن التي بعثت بممثليها إليه لتحيته بينما كان يعبر أراضيها في طريقه إلى روما. ورسالة أخرى كتبها إلى أسقف سميرنا القديس بوليكاربوس وكذلك الرسالة الهامة التي أرسلها إلى كنيسة روما متوسلاً إليهم ألا يتخذوا أية إجراءات من شأنها أن تعوقه عن رغبته الحارة في أن يموت للمسيح: ” أطلب فقط أن تتركوني لأقدم دمي ضحية على مذبح الرب مادام المذبح معدًا، وأن ترتلوا، وقد جمعتكم جوقة المحبة، ترتيله للآب بيسوع المسيح لأن الله إرتضى أن يأتي أسقف سورية من الشرق إلى الغرب. جميل أن نغيب عن العالم بإتجاه الله لنشرق فيه” (رومية2:2).

..............................................................................................................................